مجلة "آفاق فكرية"

ص. ص. 51 - 64

رت م د: 2353 - 0367

رت م د إ: 2602-5507

المجال البحري للمغرب القديم بين الاستغلال المحلي والهيمنة الأجنبية خلال (1200 ق.م – 400 م)

The maritime .space of the antic Maghreb, between the local exploitation and foreign domination during (1200 B.C and 400 A.D)

بولخلوخ محمد

جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، mohammed.boulekhloukh@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2021-07-31 **تاريخ القبول:** 2022-11-24 **تاريخ النشر:** 2023-05-05

ملخص:

لكل إقليم على وجه الأرض إلا وله خصائص طبيعية تجعله يتميز عن المناطق الأخرى وبلاد المغرب مثال على ذلك، هذه الخصائص جعلته محط انظار العديد من شعوب العالم منذ أقدم العصور، وجعلوه هدفا لهم لاستغلاله والاستفادة من إمكاناته المتنوعة. ويهدف هذا البحث إلى ابراز جانب من هذه الإمكانات الطبيعية والمتمثل في المجال البحري وكيف تم استغلاله، معتمدين على المزج بين المنهج الوصفي الذي يركز على وصف المظاهر الطبيعية وتحليل المعطيات المتعلقة بها للوصول إلى الاستنتاجات المنطقية للفرضيات الموضوعة وجوابا للإشكالية المطروحة، وبين المنهج المقارن الذي يرتكز على اجراء مقارنة أهمية المجال البحري للمغرب القديم و مدى استغلاله بين مختلف الفترات التاريخية التي مر بها، ثم ابراز النتائج التي تم الوصول إليها من خلال هذا البحث والتي تتلخص في كون بلاد المغرب القديم والموارد الطبيعية التي يتمتع بها استفاد منها الأجانب اكثر من سكانه وهذا نتيجة الظروف التاريخية والسياسية التي مرت بها المنطقة.

كلمات مفتاحية: المغرب القديم، المجال البحري، مستوطنات، موانئ ، الأسطول البحري

Abstract:

Each region in the world has its own characteristics that distinguish it from the other ones. The Maghreb is the main example of that. These characteristics made it the focus of attention of several people in the world during the antiquity. They made it the target to exploit and to benefit of its diverse potential. This research, aims to highlight a part of this natural potential, which is the maritime field, and how it has been exploited. In this, they made together two methods, the descriptive method and the comparative one. The first is focused on describing the natural aspects and its data analysis to arrive at logical conclusions for the hypothesis put forward, and to the answer of the problematic at hand. The second is concentrated on comparing the importance of the antic Maghreb' s maritime field and its extend of exploitation in different historical periods, then on highlighting the results achieved by this searching, which is summarized in the fact that the rich natural resources of the antic Maghreb were been more benefited by the foreigners, than by its own people.

Keywords: Antic Maghreb; Maritime space; Settlements; Ports; Maritime fleet.

مقدمة

يتميز المغرب القديم بموقع جغرافي استراتيجي إذ ينحصر بين مصر شرقا والمحيط الأطلسي غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى أعماق الصحراء جنوبا، هذا الموقع جعل منه منطقة اتصال بين افريقيا، آسيا وأوروبا، إضافة إلى تمتعه بمجال بحري طويل الامتداد يُقَدَّرُ بحوالي ثلاثة آلاف كلم، ويشمل السواحل المتوسطية من ليبيا شرقا إلى أعمدة هرقل غربا ثم السواحل الأطلسية من طنجة شمالا إلى منطقة الصويرة أو موقدور (Mogador) جنوبا (بشاري، 2015، ص.10)، مع كثرة الظواهر وتنوعها مثل الخلجان والتعاريج والرؤوس والجزر، سمح بإنشاء العديد من الموانئ والمحطات التجارية على الأقل منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد .

والإشكالية التي طرحناها للبحث تتمحور حول من المستفيد من هذا المجال، هل هم المغاربة أنفسهم أم الأجانب، كيف حدث هذا ولماذا؟ وللإجابة عن هذه الإشكالية وضعنا هذه الفرضيات عبر التساؤلات التالية: ما هي أبرز العناصر التي يتشكل منها المجال البحري للمغرب القديم؟ من استفاد من هذا المجال البحري منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد حتى نهاية العصر القديم؟ ما هي مظاهر الاستفادة منه؟ وللوصول إلى الإجابة عن إشكالية البحث اعتمدنا على منهجين اثنين: المنهج الوصفي الذي يركز على وصف المظاهر الطبيعية وتحليل المعطيات التاريخية للوصول إلى الاستنتاجات المنطقية للفرضيات الموضوعة وجوابا للإشكالية المطروحة، والمنهج المقارن الذي يرتكز على اجراء مقارنة أهمية المجال البحري للمغرب القديم ومدى استغلاله بين مختلف الفترات التاريخية التي مر بها، والغرض من ذلك هو اثراء البحث التاريخي خاصة في مجال الجغرافية التاريخية من جهة، وابراز مدى تنافس القوى الكبرى على خيرات وإمكانات الشعوب المحتلة وعوامل حرمان هذه الشعوب من خيرات أوطانهم .

1. العناصر الطبيعية التي يتشكل منها المجال البحري للمغرب القديم:

يتميز المجال البحري للمغرب القديم بطول مسافته واشرافه على مسطحين مائيين هما البحر الأبيض المتوسط من الجهة الشمالية والمحيط الأطلسي من الجهة الغربية وبوجود الأشكال التالية:

1.1. الرؤوس:

عبارة عن جزء من اليابسة يتوغل داخل المياه، من أشهرها حسب موقعها الجغرافي من الغرب نحو الشرق: رأس أمبلوسيا (Ampelusia) (Pline l'Ancien, 1980, V. 2) في أقصى الغرب من المحيط الأطلسي، رأس أبولو (cap Apollon)، رأس الماركور (cap Marcure) (Pline l'Ancien, 1980, V. 23) المقابل لصقيلية، رأس هرميبوس يقع ضمن الخليج القرطاجي (سترابون، 2017، XVII. 3. 14)، رأس آخر يجهل اسمه عند السرت الصغرى على بعد 100 ميل[1] عن منطقة مينينكس (Meninx)، رأس بوريون (Borion) الذي يغلق خليج السرت الكبرى، رأس آمون باليثون على مقربة من السرت، رأس كيثالا الذي يبعد عن قرطاجة بأكثر من خمسة آلاف مرحلة (سترابون، 2017، XVII. 3. 16. 18)، رأس الطابية وهو عبارة عن نتوء صخري على ارتفاع 140 م يقع على بعد 11 كم شرق لبدة، رأس مصراته (رأس قصر أحمد) الذي يعتبر افضل المواقع لتوفره على مياه عذبة، يقع على بعد ثلاثة (03) كلم جنوب الرأس الذي يحمل اسمه (الديباني، 2014، ص. ص. 29 - 30)، رأس بسيدوبنياس على مقربة من مذبح الأخوين فيليني، رأس ثيكونت بالقرب من قورينائية، رأس كيدونيس يقع على الساحل القوريني مقابل جزيرة كريت (سترابون، 2017، XVII. 3. 20. 22)، رأس ناوستاثموس (رأس الهلال)، رأس خيرونيسوس (رأس التين) (الديباني، 2014، ص.24).

2.1. الخلجان:

الخلجان عبارة عن مياه داخلة في اليابسة، تتميز بكثرة التعرجات تساعد على كسر الأمواج وبالتالي توفر ملاجئ للمراكب والسفن. من أبرزها: خليج ايمبوريك يقع جنوب ليكسوس وكوتتيسا على ساحل موريتانيا (سترابون، 2017، XVII. 3.2)، خليج ساجيجي (Sagigi) يقع شرق واد اناتيس، خليج سورنتيوم (Surrentium) يلي خليج ساجيجي شرقا ويبعد عن واد بارات (Parât) بحوالي 616 ميل (Pline l'Ancien, 1980, V. 9. 10)، الخليج الوهراني الذي توجد به موانئ عدة مثل الميناء المقدس أو ميناء الآلهة والذي يسمى حاليا بالمرسى الكبير، خليج اكوسيوم (Icosium) أو خليج الجزائر يتميز باحتوائه على مرفأين محميان من الرياح الشرقية والغربية (فرحاتي، 2007، ص.ص.119 – 123)، خليج صلداي (Saldae) بجاية الذي ذكره سترابون (Strabon) وحدد موقعه

بين قيصرية وتريتوس ووصفه بميناء كبير ويشكل الحد الفاصل بين مملكة يوبا الثاني والرومان (سترابون، 2017، XVII. 3.12)، خليج هيبون(عنابة) القريب من هيبون درتوتوس (Hippo Dirtutus) التي سماها الاغريق ديارتيتوس (Diartitus) نسبة للمياه التي تسقي المنطقة وتسمى حاليا بنزرت (Pline l'Ancien, 1980, V. 23)، خليج قرطاجة المشهور بالرؤوس البحرية منها رأس أبولونيوس ورأس هرميبوس (سترابون، 2017، XVII. 3.13)، خليج السرت المعروف بحركات بحرية كثيرة (Pline l'Ancien, 1980, V. 26)، يبلغ امتداد محيطه إلى 1600 مرحلة[2] وعرض ثغره 600 مرحلة (سترابون، 2017، XVII. 3.17)، ويزيد عمق مياهه عن ست (06) قامات[3]، خليج البمبة يقع شرق ليبيا وغرب طبرقة (الديباني، 2014، ص.24)

3.1. الجزر وأشباه الجزر:

الجزر هي قطع من اليابسة تحيط بها المياه من كل الجهات، بينما أشباه الجزر هي قطع من اليابسة تحيط به المياه من ثلاث جهات فقط ومن أبرز الجزر واشباهها التي يتضمنها الساحل المغربي هي: جزيرة موقدور (Mogador) تقع هذه الجزيرة على ساحل المحيط الأطلسي (بورونية، 1999، ص.71)، جزيرة رشقون التي تقع في أقصى غرب الجزائر الحالية بالقرب من واد التافنة، وتعتبر مرفأ هاما لميناء ومدينة سيغا الشهيرة (شنيتي، 2013، ص.126)، جزيرة مينكس (Meninx) بطول 25 ميل وعرض 22 ميل تدعى بجزيرة لوطو فاجتيس (Lotophagitis) تضم مدينتين ساحليتين هما ميننجي (Méningé) وفوار (Phoar) ويقعان قرب تونس الحالية (Pline l'Ancien, 1980, V. 41)، جزيرتي كيركينا ومينينغا تقعان في خليج السرت الصغير(سترابون، 2017، XVII. 3.17)، جزيرة ايدونيا (Aedonia) وتسمى جزيرة المراكب وهي احدى جزر خليج البمبة على بعد 05 كلم عن باتراخوس وتتصف بقربها من الشاطئ، يرجح أنّ الاغريق نزلوا بها لاستكشاف الأراضي الليبية قصد تأسيس المستوطنات، جزيرة بلاتيا (Platea) تقع عند طرف رأس خليج البمبة جعلها النساموسيين مركزا تجاريا لهم (Hérodote, 1889, IV. 152).

2. مظاهر استغلال المجال البحري للمغرب القديم:

إذا كانت المعلومات حول استغلال المجال البحري للمغرب القديم قبل القرن الثاني عشر قبل الميلاد مقتضبة خاصة ما تعلق بمدى استغلاله من طرف المغاربة أنفسهم ما عدا بعض الشذرات

القليلة جدا ولكن بعد قدوم الفينيقيين شهد الحوض الغربي للبحر المتوسط ومنه سواحل المغرب القديم نشاطا كبيرا، هذه أبرز مظاهر هذا النشاط والأطراف التي ساهمت فيه:

2.2. الفينيقيون والقرطاجيون:

يتجلى استغلال المجال البحري للمغرب القديم من طرف الفينيقيين ثم القرطاجيين فيما انجزه هؤلاء القادمين من صور وصيدون وبقية المدن الفينيقية، خاصة ما تعلق بالنشاط التجاري كالمرافئ والموانئ والمحطات والمدن الساحلية التي نستعرض أبرزها من الغرب نحو الشرق ونبدأها بالساحل المغربي وهي ليكسوس التي تقع على بعد ثلاثة (03) كلم ونصف شمال شرق مدينة العرائش على الضفة اليمنى لواد ليكسو تعرف باسم أرسيلا (سلاطنية، د.ت، ص.57)، كما أطلق عليها اسم تشميش (Tchemmich) أسسها الفينيقيون في حدود سنة 1110 ق. م، بعدها نحو الشرق نجد طنجة (Julien, 1972, p. p.63- 80) التي ورد اسمها بصيغ مختلفة منها (Tingi) (Pline l'Ancien, 1980, V.2) و(Tingus) (سترابون، 2017، XVII. 3.17)، وسماها بطوليميوس (Ptolemaei) تيغيس(Tiggis) وتقع حسبه على خط طول 06.33° ودائرة عرض 35.55° (بطوليميوس، 2004، الفصل الأول. فقرة 3)، وهناك تطوان (Tamuda) التي تقع جنوب شرق مضيق جبل طارق على الساحل المتوسطي أشار إليها بلينوس الكبير (Pline l'Ancien) في معرض حديثه عن نهر تمودا حيث حدد موقعه بعد جبال الاخوة السبعة (Pline l'Ancien, 1980, V. 18) ونفس الفكرة عند ميلا (Pomponius Mêla) (Mêla, 1843, I. 5) وحسب بطوليميوس فنهر ثمودا يقع على خط طول 08.30 ودائرة عرض 35.00 (بطوليميوس، 2004، الفصل الأول. فقرة 3)، إلى جانب مدينة مليلة (Rusaddir) التي تقع شرق مدينة تطوان على ساحل البحر المتوسط، ورد ذكرها كمدينة و ذكر مينائها عند بلينوس الكبير بصيغة ريسادير (Rhysaddir) (Pline l'Ancien, 1980, V. 18) وتقع حسب بطوليميوس على خط طول 10.00 و دائرة عرض 34.45 (بطوليميوس، 2004، الفصل الأول. فقرة 3)، ووصفها ميلا بمدينة صغيرة تقع شرق مدينة تامودة(تطوان) (Mêla, 1843, I. 5) واسم روسادير (Rusaddir) اسم فينيقي يعني الرأس المرتفع نسبة لرأس تراس فوركاس (cap tres forcas) (Gsell, 1918, T2, p. 166).

ومن أبرز المحطات والموانئ التي توجد على الساحل الجزائري: سيغا (Siga) التي تسمى حاليا تكمبيرث أو ثخمريت تقع على الضفة اليسرى لمجرى واد التافنة (شنيتي، 2013، ص.126)، تم ذكرها في العديد من النصوص التاريخية منها سكيلاكس (Scylax) (Scylax, 1797)، وبلينوس الكبير الذي حدد موقعها مقابل مدينة مالقا بإسبانيا وجعلها مقرا للملك "صفاكس" (Pline l'Ancien, 1980, V. 19)، وتكلم عنها سترابون حيث حدد موقعها بـ 1000 مرحلة عن ميتاغونيس (سترابون، 2017، XVII. 3.9)، أمّا بطوليميوس فقد حدد موقعها على خط طول 12.00 ودائرة عرض 34.40 (بطوليميوس، 2004، الفصل الأول. فقرة 3)، وهناك المرفأ الكبير (portus magnus) (Julien, 1972, p.65) يسمى بطيوة حاليا، يتصف باتساع مساحته حيث يمتد حتى جنوب أرزيو الحالية، ونجد محطة كيزا التي تقع على الجانب الأيمن من مجرى نهر الشلف ويبعد عن البحر ومصب النهر بحوالي ثلاثة كلم(شنيتي، 2013، ص. 124)، إضافة إلى ميناء قرتنه (Cartennae) (Julien, 1972, p.65) الذي يسمى حاليا تنس ويقع على مصب وادي علالة المنحدر من جبال الظهرة، وبعدها تأتي محطة قنوقو (Gunugu) التي تعرف اليوم بقبة سيدي إبراهيم الواقعة على بعد 28 كلم عن قورايا الحالية (شنيتي، 2013، ص. 124)، ثم نجد مدينة ايول (Iol) تسمى حاليا شرشال، اخذت اسمها من جزيرة صغيرة كانت تحمي المرفأ الفينيقي القديم (شنيتي، 2013، ص.123)، ثم تحولت إلى عاصمة الملك يوبا الثاني وسمى المدينة بقيصرية، وبالقرب منها مدينة تيبازة (Tipasa) التي تقع بين شرشال والجزائر العاصمة الحالية، اسمها مشتق من الاسم الليبي "تفاشت" (Tefassed) (Gsell, 1911, F4, n°38) ، اكوسيوم (Icosium) التي تقع على السفح الشرقي لجبل بوزريعة، إلى جانب رسغونيا (Rusginiae) تسمى حاليا تمنفوست الواقعة شرق خليج الجزائر وقريب من واد الحميز وسهل متيجة (شنيتي، 2013، ص.123)، ورسوكورو (Rusuccuru) (Julien, 1972, p. 65) التي تسمى دلس حاليا، ايومنيوم (تغزيرث حاليا) على مقربة من جزيرة أخذت اسمها منها (شنيتي، 2013، ص.123)، ثم تأتي محطة صلداي(Saldae) تقع ضمن خليج بجاية، بعدها اجلجلي (Igilgili) (Julien, 1972, p. 65) الذي يتوفر على نفس الميزات (شنيتي، 2013، ص.ص. 122 - 123)، شأنها شأن شولو (Chullu) الذي يقع ضمن خليج القل (Gsell, 1911, F8, n° 29)، وروسيكادا (Rusicade) أو فليب فيل (Philipeville) (Gsell, 1911, F8, n°194) التي تسمى حاليا سكيكدة، وهيبو

ريجيوس (Hippo Regius) أو بونة (Bone) (Gsell, 1911, F9, n°59) وهي عنابة حاليا، الواقعة على مقربة من مصب نهر سيبوس وسهل عنابة (شنيتي، 2013، ص.122).

أمّا المحطات والموانئ التي تقع على الساحل التونسي هي طبرقة (Thabraca) (Babelon et al, 1893, F7. N°10) تقع أقصى شمال غرب الأراضي التونسية على الحدود الجزائرية، هيبو ديارِيتوس (Hippo Diarrhytus) (Babelon et al, 1893, F2. N°63) هي بنزرت حاليا، وردت بصيغ متعددة منها Hippo Diarrhytus التي ذكرناها أو (Hippo Zarit) أو (Hippo Akra)، تقع شمال تونس وغرب أوتيكا (غانم، 1982، ص.100) التي تعتبر من أقدم المستوطنات الفينيقية في الحوض الغربي من البحر المتوسط بعد لكسوس (Pline l'Ancien, 1980, V.24)، تأسست في حدود سنة 1101 ق. م، واسم اوتيكا يعني المحطة القديمة (Gsell, 1918, T1, p. p. 360 -361)، تقع شمال غرب قرطاجة ضمن خليج تونس تسمى حاليا سيدي الشاطر غرب مصب نهر مجردة (حارش، 2019، ص.73)، قرطاج (Carthage) أو قرط حدشت أي المدينة الجديدة باللغة الفينيقية تأسست على شبه جزيرة محاطة بالبحر من جهة الشرق وبحيرتي تونس وأريانة من الجهتين المقابلتين الشمالية والجنوبية ومن الخلف يحيطها مرتفع بيرصا (Byrsa) (غانم، 1982، ص.107) ، أي بين منطقتي سيدي بوسعيد وحلق الواد حاليا، يعود تاريخ تأسيسها حسب التاريخ المتفق عليه إلى 814 ق. م، وسقطت سنة 146 ق. م (المحجوب، 2013، ص. ص.177 -180). كركوان (Kerkoune) التي تأسست شرق تونس الحالية أي بين مدينتي قليبية والهوارية، محاطة برأس جبل سيدي لبيض في الشمال ورأس قليبية في الجنوب (سلاطنية، د.ت، ص.219)، قليبية (Kelibia/ Clupea) (Julien, 1972, p.65) تقع جنوب كركوان على رأس الطيب (Cap bon)، حدرومتوم (Hadrumetum) تسمى سوسة حاليا التي تقع شرق تونس، روسبينا (Ruspina) هي المنستير حاليا الواقعة على الساحل الشرقي التونسي جنوب سوسة (حدرومتوم) (سلاطنية، د. ت، ص. ص.227 -229) ، إضافة إلى محطة نيابول (Nabeul)، تابسوس (Thapsus) ويسمى أيضا رأس الديماس، ثيناي (Thenae) وثكاباي (Tacapae) الذي يسمى قابس نسبة إلى خليج قابس (Julien, 1972, p.65).

أمّا على الساحل الليبي نجد المحطات التالية : ميناء صبراته (Habrotonum) يقع على بعد سبعين كلم غرب مدينة طرابلس الليبية وعلى بعد ثلاثة وأربعين كلم شرق مدينة كاساس (زوارة)

(الديباني، 2014، ص.25) ، ميناء أويا (Oeat) يسمى حاليا طرابلس يقع بين مدينة طرابلس ورأس جدير، كما يربط بين لبدة وصبراته (أنديشة، 2004، ص.35)، ميناء لبدة (Leptis Magna) تشكل عند مصب وادي لبدة عند السرت الكبرى، تحميه صخور طبيعية من الجهة الشمالية والشرقية، ميناء أسبيس ويسمى ببئر الزعفران يقع شرق منطقة جارف (الديباني، 2014، ص.ص.28 -30)، وصفه سترابون بأفضل ميناء في السرتين (سترابون، 2017، 20 .3 .XVII)، إلى جانب بعض الموانئ الأخرى مثل البريقة (Kazynthion)، كيفالاي (مصراته)، ماكوماكا (تاورغاء)، ماكومياديس يوفرانتا (سرت)، كاراكس (سلطان) ومذبح الأخوين فيلايني (الرأس العالي) (أبو مدينة، 2008، ص.89).

عموما تتصف هذه المحطات بجملة من الميزات ساعدت الفينيقيين ثم القرطاجيين من الاستفادة منها ومن المجال البحري للمغرب القديم وتتمثل فيما يلي: اللجوء إليها احتماء من العواصف حيث تكون في مأمن من الرياح ومحاطة بمرتفعات من جهات عدة، التزود بالماء والمؤونة حيث ينزل هؤلاء البحارة لتناول طعام الغذاء والعشاء وأخذ ما يكفيهم من الأكل والشراب مدة الرحلة التي تنظرهم حتى نزولهم في محطة أخرى، طلب الراحة كون الرحلات متعبة وشاقة نظرا لمشاق التجذيف سواء في حالة سكون الرياح تماما أو في حالة هيجان البحر لذا ينزلون في أقرب محطة عند نزول الليل وانتظار بزوغ الشمس، اصلاح السفن لأنه غالبا ما تتمزق الأشرعة وتتكسر المجاذيف وقد تتسرب مياه البحر داخل السفينة يتطلب تجفيفها واصلاح ما تعرض لأعطاب مختلفة، اتخاذها مراكز تجارية ومنافذ للسلع التي تأتي من السودان وافريقيا والمعادن الثمينة التي تستخرج من عدة مناطق أشهرها منطقة قادش بإسبانيا، تأسيس مستوطنات لجعلها موانئ تابعة لهم بصفة دائمة والتي تحولت إلى مدن هامة على غرار قرطاجة بتونس وقرطاجنة بإسبانيا (أبو مدينة، 2008، ص.88) وبفضلها تمكنوا من تأسيس امبراطوريتهم.

2.2. المغاربة والمجال البحري:

هناك إشارات لاستغلال المغاربة للمجال البحري قديما حيث تحدث سترابون عن استغلال السكان المجاورين لخليج السرت هذا المجال في صيد السمك (سترابون، 2017، 20 .3 .XVII)، كما استغل الجرامنت موانئ المدن الثلاثة (صبراته، أويا ولبدة) كمراكز تجارية لتصدير العاج (دانيليز، 1991، ص.82)، واتضح الأمر أكثر في عهد الممالك حيث كانت للملك صفاكس علاقات صداقة وتبادل تجاري مع دول حوض البحر الأبيض المتوسط أبرزها شبه جزيرة ايبيريا، قرطاجة وروما

خلال فترات السلم بينهما، وكانت كل موانئ الخليج الوهراني تحت سيادته وحتى موانئ مملكة ماصيليا أصبحت تحت نفوذه بعد الاستيلاء عليها (فرحاتي، 2007، ص. ص.119، 122- 123)، وفي عهد الملك ماسينيسا الذي تمكن من التوسع شرقا حتى منطقة طبرقة وغربا حتى واد ملوية استولى على جميع الموانئ الموجودة على طول هذا الساحل (Gsell, 1911, f4, n°4 -5)، وبدأ اهتمامه بإنشاء الاسطول البحري في حدود سنة 180 ق.م (حارش، 2013، ص.180) حيث أشار إليه شيشرون (Cicéron) في معرض حديثه عن تخصيص سفينة خماسية بإرجاع نابي فيل إلى معبد عشتارت بمالطة أهداهما قائد السفينة له (Cicérone, 1924, discoure 9, IV, 46)، هذه الموانئ استعملها أساسا كموانئ تجارية للتصدير والاستيراد وما يتعلق بها من مرافق التخزين والشحن والمراقبة (فرحاتي، 2007، ص.ص.214 -215)، إلى جانب تصريف المنتوجات ونقلها بين الموانئ في اطار التجارة الداخلية بين ميناء يول مثلا وموانئ أخرى كميناء صلداي وميناء قونوقو والميناء المقدس الذي ظلت المبادلات قائمة نحوه إلى وقت متأخر. وهناك موانئ متخصصة في مجالات معينة مثل موانئ إقليم طرابلس (لبدة وأويا وصبراته) متخصصة في تصدير الزيوت والحيوانات للألعاب والسلع التي تأتي من افريقيا كالعاج والتبر والعبيد (حارش، 2013، ص.ص.179 -181)، ميناء قابس (Tacapae) الذي جعله سترابون من أبرز موانئ خليج السرت الصغرى (سترابون، 2017، XVII. 3. 5)، ومنه يتم تصدير منتجات منطقة الأوراس وتوزيع الواردات نحو جنوب نوميديا (حارش، 2013، ص.181)، ميناء طبرقة الذي يستغل في تصدير الرخام المستخرج من محاجر شمتو (Picard, 1959, p.82)، والقمح الذي تنتجه سهول باجة وبولا ريجيا (Salluste, 1996, XLVII)، ميناء هيبوريجيوس وميناء روسيكاد المخصصين لتصدير منتوجات إقليم كيرتا (Gsell, 1976, vol. 2, insc. 28)، ميناء ايجلجلي، ميناء صلداي يتم عن طريقهما تصدير ما تنتجه المنطقة التي تسمى حاليا سطيف وما جاورها، إلى جانب موانئ يول، قونوقو، كرتنة، بورتوس سافنوس، بورتوس دفيني التي تستغل في تصدير المنتوجات نحو شبه جزيرة ايبيريا (Picard, 1959, p.82)، واستمر نشاط هذه الموانئ بنفس الوتيرة في عهد الملك مكيبسا، وتسكت المصادر التاريخية عن مدى استغلال المجال البحري في عهد الملك يوغرطة عسكريا واقتصاديا وحتى الفترة الموالية مرورا بعهد الملك يوبا الأول، لتعود مجددا للحديث عن دور هذه الموانئ والمحطات التجارية الساحلية خلال عهد الملك يوبا الثاني الذي حكم خلال (25 ق.م إلى 23 م) على الجزء الغربي ووسط الجزائر الحالية باسم موريطانيا القيصرية، في إقامة ورشات لصناعة

الأصبغة الأرجوانية التي تستخرج مادتها الأولية من حيوانات بحرية، وتمليح الأسماك وصنع الكاروم (Garum)[4] وهذا يدل على ازدهار الصيد البحري ودور الموانئ في التجارة البحرية خاصة أنّ الملك اتخذ مدينة يول عاصمة له وهي المنطقة المشهورة بميناءها الكبير إضافة للموانئ الخاضعة لسيادة موريطانيا القيصرية (شارن، 2015، ص.49).

كما تحدثت النصوص التاريخية عن رغبة الملك بوخوس الأول في الاستيلاء على موانئ الخليج الوهراني واستغلالها لصالح مملكته لاسيما وأنها قريبة من شبه جزيرة ايبيريا ولها أهمية تجارية كبيرة، وذكرت الملك بوغود الذي اختلفت الروايات حول تاريخ اعتلاء عرش مملكة موريطانيا الغربية (أكرير، 2007، ص.56) حيث سنة 48 ق. م عبر بقواته البحر المتوسط لنجدة حاكم اسبانيا (كاسيوس) اثر تمرد الجند عليه، ومرة أخرى خلال(41 – 40) ق. م لنجدة حلفائه الجدد بإسبانيا كذلك ضد كاريناس (Carrinas) الموالي لأكتافيوس (Gsell, 1918, T8, p.199) وهذا يعني انه يمتلك أسطولا بحريا أو على الأقل سفنا لنقل الجند واستخدم احدى الموانئ كقاعدة عسكرية له.

3.2. الإغريق والمجال البحري:

تمكن الاغريق من تأسيس محطات بحرية وموانئ جديدة على سواحل المغرب القديم إضافة إلى استغلال الموانئ التي وجدوها والتي تنحصر بين معبد الفيلان غربا وهي الحدود التي تفصل بين مناطق النفوذ القرطاجي والنفوذ الاغريقي والحدود المصرية شرقا، نذكر أهمها من الغرب نحو الشرق وهي: ميناء بنغازي (Eusperides) الذي تأسس على رأس يسمى (بسيودو بينياس)، ميناء توكرة أو تاوخيرا – أرسينوى (Tauchira -Arsine)، ميناء طلمثية (Ptolemais) الذي يقع على بعد 55 كلم شرق مدينة العقورية التي كانت تسمى تاوخير (Tauchira) عند الاغريق، ميناء أبولونيا (Apollonia) الذي يوجد على حافة رأس خليج كبير، يتميز بكثرة التعاريج، تم إنشاؤه في حدود سنة 631 ق. م، ميناء رأس الهلال أو ناوستاثموس (Naustathmos) هو عبارة عن نتوء صخري، ميناء درنة (دار نيس) الذي يقع عند مصب واد كبير، ميناء طبرق أو أنتبرجوس (Antipyrgos) الذي يقع على بعد 174 كلم شرق دارنس و120 كلم غرب باردیا، يقدر طول الميناء حوالي 03.8 كلم وعرضه حوالي 01.37 كلم ويعتبر من أفضل موانئ شمال افريقيا (الديباني، 2014، ص.ص.32 -40)، ميناء مينيلاوس (Menlaos) الذي ذكره هيرودوت (Hérodote) بأنه يقع على

شاطئ جزيرة بلاتيا (Hérodote, 1889, IV. 169) وميناء برديا الذي يقع بالقرب من الحدود المصرية وشرق انترجوس بمسافة 120 كلم (الديباني، 2014، ص.42).

تتشابه خصائص المحطات التي أسسها الاغريق واستفادوا منها مع تلك التي استفاد منها القرطاجيون وتتمثل في تأسيس مستوطنات مثل قورينايا، استعمالها في التجارة البحرية كمراكز تجارية واتخاذها ملاجئ للمراكب ورسو السفن.

4.2. الرومان والمجال البحري للمغرب القديم:

بدأ استغلال الرومان للموانئ المغربية كمحطات انزال لجنودهم الذين أرسلتهم روما لمهام عسكرية في بلاد المغرب منها أوتيكا (حارش، 2014، ص.58) التي نزل بها القائد الروماني سكيبيو الملقب بالإفريقي وجنوده عندما قرر نقل الحرب البونيقية إلى الأراضي الافريقية سنة 204 ق. م أو برأس سيدي علي المكي (فرحاتي، 2007، ص.72)، والمحطة التي نزل بها القائد الروماني سكيبيو الأميلاني سنة 147 ق.م وهي ضمن المحطات التي استولى عليها الرومان منذ سنة 148 ق. م وهي هدرومت، لبتيس ماقنا، لبتيس منور، تابسوس، أشولا، وأوتيكا (حجازي، 2007، ص.68)، ثم المحطة التي نزل بها يوليوس قيصر خلال حربه ضد البومبيين سنة 47 ق. م وهي هدرومت (قيصر، 2014، 10 .9 .3). ثم استعمالها لأغراض تجارية حيث استعمل بعضها كمخازن لجمع الضرائب العينية ثم تنقل نحو روما لتموين سكانها وجيشها (بشاري، 2015، ص.239)، أبرزها ميناء قرطاج، هيبو ريجيوس، روسيكاد، أوتيكا، ونقل ضريبة التموين الأنونة إلى ميناء بوزول (Pouzzoles) ثم إلى ميناء أوستيا. بعدها تقسم إلى جزأين، الأول يخزن بصفة مؤقته في الميناء والثاني يرسل إلى روما عن طريق نهر التيبر (Tiber)، وهناك إمّا تنقل إلى المخازن العامة التي تقع على ضفاف هذا النهر أو إلى المخازن المحلية الموجودة بروما (بشاري، 2015، ص.ص. 344، 346- 347).

من أبرز الموانئ التي كانت تشحن منها هذه المواد نحو روما وإلى ميناء أوستيا هي موانئ افريقيا البروقنصلية مثل هيبوديارتوس (Hippo Diarrytus)، نابوليس (Neapolis)، قرطاج، هيبوريجيوس (Hipp Regius)، لبتيس منور (Leptis Minor)، وروسيكاد (Russicade) في نوميديا، موسلفيوم (Musluvium) في موريطانيا القيصرية، هدرومت (Hadrumete) في المزاق،

صبراته (Sabratha) ولبتيس ماقنا (Leptis Magna) لبدة في طرابلس (بشاري، 2015، ص.ص.253 -254).

والجدير بالذكر أن اختيار هذه الموانئ يعود إلى موقعها الممتاز كأن يكون رأس بحري مثل رأس الطيب حيث المسافة بينه وجزيرة صقيلية مسافة قريبة جدا وبالتالي المدة التي تقضيها السفن في البحر للوصول إلى ميناء تفريغ حمولتها قصيرة جدا مقارنة بالمدة التي تقضيها بين الموانئ المصرية والمدن الإيطالية، إضافة إلى وجود مخازن (Harri) لحفظ البضائع الواردة من الخارج أو المعدة للتصدير مع وجود ورشات خاصة بالبحارة (Nautae) والحمالين (Utraculariі) والغطاسين دون نسيان نقل الحيوانات التي تستعمل في الألعاب التي ينظمها الأباطرة لغرض تسلية الشعب الروماني، أو الرخام و غيرها من السلع، وهناك موانئ ذات استعمال عسكري مثل ميناء يول (شرشال) (شارن، 2015، ص.ص.218 -219).

خاتمة:

من خلال استعراض الخصائص الطبيعية للمجال البحري للمغرب القديم وميزاته الحضارية، ومختلف الشعوب والأمم التي استفادت منه و مظاهر الاستفادة، أمكننا للتوصل إلى ما يلي:

- الموقع الجغرافي الممتاز الذي ساعد على سهولة الاتصال بين مناطق الإنتاج والاستهلاك والمراكز التجارية.
- وجود سهول ساحلية ساهم في تأسيس محطات ومستوطنات قريبة من البحر.
- مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يتصف بالاعتدال عموما وعدم وجود الأعاصير والعواصف الهوجاء ومعيقات الملاحة بصفة عامة، ساهم في الاستفادة من هذا المجال.
- قربه من القارة الأوروبية مع وجود مناطق تعتبر مناطق انطلاق النشاط التجاري نحو الجنوب مثل السرت الكبير.
- ارتباط مكانة المجال البحري للمغرب القديم بوفرة الموارد الطبيعية النباتية والحيوانية والمعدنية في المنطقة.
- يصنف كأكبر منطقة للتنافس والصراع الحضاري في العالم القديم.

- استغلاله من طرف القرطاجيين والاغريق والرومان في العديد من الميادين بالمقابل عدم استفادة بعض الملوك المغاربة مثل الملك يوغرطة من هذا المجال، إذ لم تذكر لنا النصوص التاريخية أي إشارة للتجارة البحرية، أو الصيد البحري، أو استعمال هذا المجال لتأسيس محطات عسكرية تمثل قواعد متقدمة، تمنع نزول الجيش الروماني بالأراضي المغربية، وعدم الاستفادة من الأسطول الذي تركه أسلافه؟ وهنا نطرح تساؤلات حول هذه القضية ونتركها مجالا للبحث والدراسة مستقبلا .

التعليقات والشروحات:

(1) واحد ميل يقابله 1.65 كلم.

(2) مرحلة تطلق بصيغة ستاد وهي وحدة قياس الأطوال عند الاغريق وتعادل 180 متر، انظر: العقون، 2015، ص. 18. وتعادل 177.6 متر ، أنظر: عيساوي، (2009 – 2010)، ص. 29.

(3) قامات مفردها قامة وهي وحدة قياس أعماق البحار تعادل حوالي 183 سم ، أنظر: الديباني، 2014، ص. 28.

(4) الكاروم (Garum) يتمثل في مرق مصنوع من السمك يستخدم في الطهي بدلا من التوابل. أنظر: حمداوي، (د ت)، ص. 8.

قائمة المصادر والمراجع:

1. بشاري، محمد الحبيب. (2015). *روما وزراعة المقاطعات الافريقية بين 146 ق.م و285 م*. دار الهدى، الجزائر.
2. سترابون. (2017). *الجغرافيا*، (مخائيل إسحاق، ترجمة؛ ط1). دار علاء الدين، سوريا.
3. الديباني، ابتسام عبد السلام. (2014). *الموانئ الليبية القديمة ودورها الاقتصادي في الفترات الفينيقية والاغريقية والرومانية*. منشورات المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، ليبيا.
4. فرحاتي، فتيحة. (2007). *نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني، 213 ق. م – 46 ق. م*، منشورات أبيك. الجزائر.
5. العقون، أم الخير. (2015). *دولة الأمازيغ في مصر الفرعونية، 950 ق.م – 715 ق. م*. دار القدس العربي، الجزائر.
6. عيساوي، مها. (2009 – 2010). *المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي* [أطروحة دكتورة غير منشورة]. جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر.
7. بورونية، الشاذلي. وطاهر، محمد. (1999). *قرطاج البونية ، تاريخ حضارة*. مركز النشر الجامعي. مصر.
8. شنيتي، محمد البشير. (2013). *الجزائر قراءة في جذور التاريخ وشواهد الحضارة*. دار الهدى. الجزائر.
9. سلاطنية، عبد المالك. (دون تاريخ). المستوطنات البونية الفينيقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط [أطروحة دكتورة علوم غير منشورة]. جامعة منتوري ،قسنطينة. الجزائر.
10. بطوليميوس، كلاوديوس. (2004). *جغرافية وصف ليبيا قارة افريقيا و مصر*(محمد المبروك الدويب، ترجمة؛ ط. 1). منشورات جامعة قاريونس. ليبيا.
11. غانم، محمد الصغير. (1982). *التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط* (ط2). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر؛ والمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر. لبنان.
12. حارش، محمد الهادي. (2019). *يوغرطة الملك في مواجهة روما*. منشورات ENAG. الجزائر.
13. المحجوب، عبد المنعم. (2013). *معجم تانيت*. دار الكتب العلمية. لبنان؛ وتانيت للنشر والدراسات. ليبيا –تونس – المغرب.
14. أنديشة، أحمد محمد. (2004). *التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث في ليبيا*. دار مكتبة الشعب للنشر والتوزيع. ليبيا.

15. أبو مدينة، حسن مسعود. (2008). *الموانئ الليبية، دراسة في الجغرافية الاقتصادية*(ط2). منشورات جامعة السابع أكتوبر. ليبيا.
16. دانليز، تشارلز. (1991). *الجرامنتون سكان جنوب ليبيا القدماء*. (أحمد اليازوري، ترجمة، ط1). دار الفرجاني. ليبيا.
17. حارش، محمد الهادي. (2013). *مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد*. دار هومة. الجزائر.
18. حمداوي، جميل. (د ت). *يوبا الثاني الملك الأمازيغي المثقف.مجلة شبكة الألوكة الاليكترونية*. على الرابط: www.Alukah.net بتاريخ 2021/05/24.
19. شارن، شافية. (2015). *تجارة الجزائر، نوميديا وموريطانيا القيصرية خلال فترتي الممالك النوميدية والاحتلال الروماني من القرن 03 ق. م إلى 03 م*. كنوز الحكمة. الجزائر.
20. أكرير، عبد العزيز. (2007). *تاريخ المغرب قبل الإسلام، الممالك المورية الأمازيغية قبل الاحتلال الروماني*، (دار النشر مجهول). المغرب.
21. حارش، محمد الهادي. (2014). *التاريخ المغاربي القديم السياسي و الحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي*. دار هومة. الجزائر.
22. حجازي، عبد العزيز عبد الفتاح. (2007). *روما و أفريقيا من نهاية الحرب البونية الثانية إلى عصر الامبراطور أغسطس*. مكتبة الأنجلو المصرية. مصر.
23. يوليوس، قيصر. (2014). حرب افريقية، 47 – 46 ق م (محمد الهادي حارش، ترجمة). دار هومة. الجزائر.

24. Pline L'Ancien. (1980). *Histoire Naturelle*, (Johan Dessanges, trad), les Belles Lettres, France.
25. Hérodote. (1889). *Histoire* (Larcher, trad). G. Charpentier et C^{le}, Editeurs. France.
26. Julien, Ch- A. (1972). *histoire de L'Afrique du Nord, Tunisie – Algérie – Maroc, des origines à la conquête arabe (647 AP. J.C)*.Payot. France.
27. Pomponius, Mêla. (1843).*Géographie* (L. Baudet, trad). C.I.F Panckoucke, France.
28. Gsell, Stéphane. (1918). Histoire Ancienne de l'Afrique du nord. Librairie Hachette. France.
29. - scylax. (1797).*Voyage de de Caryande, en Europe, en Asie et en Lybie* (J. C, Poncelin, trad). Renouard. France.
30. Gsell, Stéphane. (1911). *Atlas Archéologique de l'Algérie*. Adolphe Jourdan, Algérie ..
31. Babelon, E; Cagnat, R; & Reinach, S. (1893). Atlas Archéologique de la Tunisie. Ernest Leroux Editeur. France.
32. Cicérone. (1924). *second action contre Verrès* (P. C. B. GUEROULT, trad). Librairie Hatier. France.
33. Picard, Gilbert Charles. (1959). *la civilisation de l'Afrique Romaine*. Plon. Edit. France .
34. Salluste. (1996). *la Guerre de Jugurtha* (Alferd Ernout, trad ; 14eme tirage). les Belle lettres. France.
35. Gsell, Stéphane. (1976). *inscriptions Latines de l'Algérie*. S.N.E.D. Algérie.